

أثر القراءات الشاذة في السمعيات (دراسة نموذجية)

The Impact of Al-Qirā'āt Al-Shāddah on Revealed Doctrines (As an Exemplary Study)

د. حسنى قيومي

أستاذة زائرة، قسم التفسير وعلوم القرآن بالجامعة العالمية الإسلامية، إسلام آباد

Abstract:

The science of Qur'anic readings, both canonical (mutawātir) and irregular (shādh), is considered fundamental to understanding the Holy Qur'an. This is due to their rich and diverse meanings and their significant role in helping us better grasp the Qur'an's objectives and purposes, thereby broadening the methods by which we can interpret its verses.

While canonical readings have received extensive investigation from researchers, irregular readings are often overlooked or their importance minimized in understanding Qur'anic content, particularly in the fields of theology and the unseen matters (al-sam'iyyāt). Therefore, there is a confirmed need for a systematic study that highlights the epistemic contribution of irregular readings and clarifies their role in this context.

This study aims to explore how irregular readings contribute to clarifying and elucidating theological issues related to the unseen

Keywords: Faith. Impact of Qira'at al-shādh. Qira'at al-shādh. Revealed doctrines

الملخص

تُعَدُّ علم القراءات القرآنية، بنوعيهما المتواتر والشاذ، من العلوم الأساسية والمهمة في فهم القرآن الكريم، وهذا يعود إلى ما فيها من معانٍ متنوعة وغنية، وإلى دورها الكبير في مساعدتنا على فهم مقاصد وأهداف القرآن الكريم بشكل أفضل، وتوسيع الطرق التي يمكننا بها تفسير آياته. وقد تلقى القراءات المتواترة باستقصاء وافٍ من قبل جمهور الباحثين، أما القراءات الشاذة فغالبًا ما يُلاحظ إغفال أو تقليل من شأنها في فهم المضامين القرآنية، لاسيما في مجال العقيدة ومباحث السمعيات، وعليه، تتأكد الحاجة إلى بحث منهجي يسعى إلى إبراز الأثر المعرفي للقراءات الشاذة وبيان دورها في هذا السياق. تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف الكيفية التي تساهم بها القراءات الشاذة في إبراز أثر القراءات الشاذة ودورها الهام في إيضاح وتبيين القضايا العقدية المتعلقة بالسمعيات.

الكلمات المفتاحية: أثر. السمعيات. العقيدة. القراءات الشاذة.

المقدمة

القراءات الشاذة هي كل قراءة خالفت الرسم العثماني على المعتمد من الأقوال؛ وتسمى شاذة لأنها شذت عن المصاحف العثمانية ولم تعد جزءاً منها عندما جمع عثمان بن عفان -ع- القرآن ونسخه في المصاحف المتعددة، وعلى قول: إنها القراءة التي اختل فيها ركن من الأركان الثلاثة التي وضعها العلماء في قبول القراءات المتواترة وهي موافقة المصاحف العثمانية، موافقة اللغة العربية والتواتر، وهو تعريف شامل لأنها تحتوي كل ما عدا القراءات المتواترة التي تعتبر قرآناً.

لم يرد عن إجماع الأمة ما يدل على قرآنية القراءات الشاذة، ومع ذلك يمكن الاستفادة منها في مجال التفسير، وبما أنها ليست متواترة فلا يُتعبد بتلاوتها. لكن لا تزال لها فائدة في المساعدة على توضيح بعض المعاني، والجمع بين الأقوال المختلف فيها في فهم بعض القضايا، خصوصاً تلك المتعلقة بالعقيدة في أبوابها المختلفة، سواء الإلهيات، أو النبوات، أو السمعيات.

ولكونها شاذة رفع التعبّد بتلاوته وبقي الإفادة منها من حيث توضيح المعنى ورفع الإبهام أو الإشكالات في القضايا المتعلقة بالعقيدة سواء في باب الإلهيات أو النبوات أو السمعيات.

قد بحث عن أثر القراءات الشاذة في باب الإلهيات بذكر النماذج الواردة فيها، واقتصرت من خلال هذا البحث محاولة إثبات أثر القراءات الشاذة ودورها الهام في توضيح القضايا العقدية في باب السمعيات، بتقديم النماذج التطبيقية لإبراز المسألة بشكل أفضل.

المبحث الأول: العقيدة ومباحثها

المطلب الأول: العقيدة لغة واصطلاحاً:

العقيدة في اللغة:

من "العَقْد" وهو الربط والشدّ بقوة، ومنه الإحكام والإبرام، والإثبات والتوثيق.¹ وما عقد الإنسان عليه قلبه جازماً به فهو "عقيدة".

العقيدة في الاصطلاح:

هناك معنى العام لمصطلح العقيدة، ومعناه في الشرع الإسلامي:

المعنى العام لمصطلح العقيدة:

كلمة العقيدة على وزن "فعيلة"، من "عقد" بمعنى "معهودة"، أي: بمعنى اسم المفعول، فهي تطلق على الأمر الذي يعتقد الإنسان ويعقد عليه قلبه وضميره، بحيث يصير عنده حكماً لا يقبل الشك فيه لدى معتقده، فاعتقد كذا بقلبه: أي صار له عقيدة.²

معنى العقيدة في الشرع الإسلامي:

هو الإيمان الجازم بالله، وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين، وأمور الغيب وأخباره، وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع، ولرسوله - ﷺ - بالطاعة، والتحكيم والاتباع.³

ويعني بهذا أن العقيدة لا تتعلق بالأمور العملية، بل تتعلق بالأمور الدينية العلمية التي تحب على المسلم اعتقادها في قلبه لإخبار الله تعالى بها بكتابه أو بسنة رسوله - ﷺ -، وعلى هذا فالعقيدة: هو الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده، وفي الدين: ما يقصد به الاعتقاد دون العمل كعقيدة وجود الله وبعثه الرسل، وغيرها.⁴

المطلب الثاني: مباحث هذا الفن

ينقسم مباحث هذا الفن إلى ثلاثة أقسام رئيسية، وهي:

الإلهيات: وهي المسائل المبحوث فيها عما يتعلق بالإله -I-.

النبوات: وهي المسائل التي يبحث فيها عما يتعلق بالأنبياء -عليهم السلام-.

السمعيات: وهي المسائل التي لا تتعلق أحكامها إلا بالسمع.⁵

المبحث الثاني: السمعيات والنماذج التطبيقية لأثر القراءات الشاذة فيها

السمعيات في باب العقيدة هي مجموعة من القضايا الغيبية التي لا يمكن للعقل البشري إدراكها بمفرده، وإنما تُعرف وتثبت عن طريق الوحي الصادق؛ أي بالسمع من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة. بمعنى آخر، هي كل ما يتعلق بالغيبيات التي أخبرنا بها الله -I- ورسوله -p-، ولم نكن نعلمها لولا ذلك الإخبار، وقد عرّفه السفاريني -رحمه الله- بقوله: "اعلم أن المراد بالسمعيات ما كان طريق العلم به السمع الوارد في الكتاب أو السنة والآثار مما ليس للعقل فيه مجال، ويقابله ما يثبت بالعقل وإن وافق النقل، فما كان طريق العلم به العقل يسمى العقلية والنظريات، ولهذا يقال لعلماء هذا الشأن النظار، وقد أشار إلى ذكر المقصود من ذلك بقوله:

((وكل ما صح من الأخبار ... أو جاء في التنزيل والآثار))

((من فتنة البرزخ والقبور ... وما أتى في ذا من الأمور))⁶

النماذج التطبيقية لأثر القراءات الشاذة في باب السمعيات

المطلب الأول: أثر القراءة الشاذة في السمعيات المتعلقة بأشراط الساعة

أ. دور القراءة الشاذة في توسيع دلالة كلمة "الصور" والنفخ فيها

قال الله -I-: ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام: 73).

وقرئ في الشواذ (الصُّور) بفتح الواو، وهي قراءة الحسن⁽⁷⁾،⁽⁸⁾ وابن عياض⁽⁹⁾، وقتادة -رحمهم الله-⁽¹⁰⁾.

اختلف المفسرون في تفسير قوله (الصُّور) على قولين⁽¹¹⁾:

أحدهما: أن الصُّور هو (القرن)، وهو رأي الجمهور؛ بناءً على تفسير النبي -ﷺ- عندما سأله الأعرابي عن الصور فقال: «قَرْنٌ يُنفَخُ فِيهِ»⁽¹²⁾.

والآخر: قال جماعة: الصُّور جمع صورة كالصُّوف جمع صُوفة، وهذا ليس جمعاً صناعياً وإنما هو اسم جنس، إذ يُفَرَّقُ بينه وبين واحده بناء التأنيث، والمعنى: ينفخ في الصُّور ليعود للأجساد الروح. ويُؤيدوا هذا القول بقراءة الحسن.

قد رد بعض العلماء -منهم النحاس- تفسير (الصُّور) بـ(الصُّور) وعدّه غلطاً عند أهل التفسير واللغة حيث قال: "قال أبو عبيدة هو جمع صورة؛ يذهب إلى أن المعنى: فإذا نفخ في صور الناس الأرواح، وهذا غلط عند أهل التفسير واللغة"⁽¹³⁾ وقال في موضع آخر: "الذي قاله أبو عبيدة لا يعرفه أهل التفسير ولا أهل اللغة"⁽¹⁴⁾ وقد دعاه هذا الرد إلى نفي القراءة بفتح الواو فقال: "ولم يقرأ أحد (ونفخ في الصور)"⁽¹⁵⁾ وقد تعقبه ابن حجر فأثبتها قراءة على قوله: "وذكر الجوهري في الصحاح أن الحسن قرأها بفتح الواو وسبق النحاس فقال ليست بقراءة، وأثبتها أبو البقاء العكبري قراءة في كتابه إعراب الشواذ"⁽¹⁶⁾ ووصف رده بالمبالغة فقال: "وبالغ النحاس وغيره في الرد على التأويل"⁽¹⁷⁾.

دور القراءة الشاذة في توضيح معنى الآية:

لا شك في أن النفخ في الصور من أشراط الساعة، وقد دل عليه الكتاب والسنة، فمثال ما جاء في الكتاب في قوله تعالى ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾⁽¹⁸⁾ وقوله ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾⁽¹⁹⁾، ومثال ما جاء في السنة في الحديث الطويل الذي رواه ابن عمر -رضي الله عنه- في أشراط الساعة، قال: قال رسول الله -ﷺ-: «يُخْرِجُ الدَّجَالُ فِي أُمَّتِي فَيَمُكُّثُ أَرْبَعِينَ - لَا أَذْرِي: أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا... فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السَّبَاعِ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَحْيُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌ رَزَقُهُمْ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ..»⁽²⁰⁾ ومن الدلائل التي تدل على إمكانية الجمع بين القراءتين هو أن الإمام ابن حجر العسقلاني جعل الاختلاف بينهما اختلاف النوع وجمع بينهما جمعاً معتدلاً فقال في (باب نفخ الصور):

تكرر ذكره في القرآن في الأنعام والمؤمنين والنمل والزرع وغيرها وهو بضم المهملة وسكون الواو وثبت كذلك في القراءات المشهورة والأحاديث وذكر عن الحسن البصري أنه قرأها بفتح الواو جمع صورة، وتأوله على أن المراد النفخ في الأجساد لتعاد إليها الأرواح، وقال أبو عبيدة في "المجاز" يقال الصور يعني بسكون الواو جمع صورة كما يقال سور المدينة جمع سورة؛ فيستوي معنى القراءتين، وحكى مثله الطبري عن قوم وزاد: كالصوف جمع صوفة، قالوا: والمراد النفخ في الصور -وهي الأجساد- لتعاد فيها الأرواح كما قال تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾⁽²¹⁾، وبالغ النحاس وغيره في الرد على التأويل، وقال الأزهري: إنه خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة. قلت: وقد أخرج أبو الشيخ في "كتاب العظمة" من طريق وهب بن منبه من قوله قال: "خلق الله الصور من لؤلؤة بيضاء في صفاء الزجاج، ثم قال للعرش: خذ الصور فتعلق به. ثم قال: كن، فكان إسرافيل، فأمره أن يأخذ الصور فأخذه وبه ثقب بعدد كل روح مخلوقة ونفس منقوسة. فذكر الحديث وفيه ثم تجمع الأرواح كلها في الصور، ثم يأمر الله إسرافيل فينفخ فيه فتدخل كل روح في جسدها، فعلى هذا فالنفخ يقع في الصور أولاً؛ ليصل النفخ بالروح إلى الصور وهي الأجساد، إضافة النفخ إلى الصور الذي هو القرن حقيقة، وإلى الصور التي هي الأجساد مجازاً".⁽²²⁾ وفي قراءة الحسن إشكالان⁽²³⁾:

الأول: هل نفخ الأرواح في الأجساد قبل نفخة الفرع أو الصعق ونفخة البعث أو بعدهما أو بينهما؟
الثاني: ما مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾⁽²⁴⁾ حيث إن الصور - جمع صورة - مؤنثة، ولا تنفخ فيها الروح إلا مرة واحدة؟

ولم أجد فيما بين يدي من كتب التفسير وتوجيه القراءات جواباً واضحاً لهذين الإشكاليين، فحاولت الجواب عنهما على قدر فهمي القاصر، والله تعالى أعلم بالصواب.

جواب الإشكال الأول: جاء في حديث أبي هريرة -ع- عن النبي -ﷺ- قال: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ الْأَرْضُ، إِلَّا عَجَبَ الذَّنْبِ مِنْهُ يَنْبُثُ، وَيُرْسِلُ اللَّهُ مَاءَ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُثُونَ فِيهِ نَبَاتَ الْخَضِرِ، حَتَّىٰ إِذَا أُخْرِجَتِ الْأَجْسَادُ، أَرْسَلَ اللَّهُ الْأَرْوَاحَ، وَكَانَ كُلُّ رُوحٍ أَسْرَعَ إِلَىٰ صَاحِبِهِ مِنَ الطَّرْفِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ». ⁽²⁵⁾

ويستفاد من هذا الحديث: أن نفخ الأرواح في الأجساد يكون بين النفختين.

جواب الإشكال الثاني:

الظاهر -والله أعلم- أن مرجع الضمير إلى القرن أو البوق الذي ينفخ فيه إسرافيل -ع-، وإن لم يسبق ذكره صراحة في الآية، إلا أنه أشير إليه بالنفخ في الصور -جمع صورة- وعودة الضمير على غير

مذكور جائزة إذا كان مفهوماً من السياق، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُوفَ﴾⁽²⁶⁾ ففاعل الفعل (بَلَغَتِ) ضمير مستتر يعود على الروح، وإن لم يسبق لها ذكر، لكن السياق يدل عليها.

ب. دور القراءة الشاذة في بيان أحوال الناس عند خروج يأجوج ومأجوج

قال الله تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ (الأنبياء: 96) وقرئ في الشواذ: (مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ) بدل (حدب)، وهي قراءة ابن مسعود،⁽²⁷⁾ وابن عباس -رضي الله عنهما-⁽²⁸⁾، والضحاك -رحمه الله-⁽²⁹⁾.

معنى قراءة الجمهور (حدب) أي: نشز وما أشرف منه، وتقدير الآية: أنهم يظهرون من غليظ الأرض ومرتفعها. وقال الفراء: من كل أكمة، أي: من كل موضع مرتفع.⁽³⁰⁾ وبهذه القراءة يرجع الضمير (هم) إلى يأجوج ومأجوج. معنى الآية على القراءة الشاذة (جدث) أي: القبر³¹، وتقدير الآية: أنهم يخرجون من قبورهم. وبهذه القراءة يرجع الضمير (هم) إلى العالم كله.⁽³²⁾

بيان أثر القراءة الشاذة

تفيد الآية بالقراءتين الواردة فيها جمع بيان حال يأجوج ومأجوج وخروجهم من كل ارتفاعات الأرض عند اقتراب الساعة وخروج البشر من قبورهم للحشر، وقوله تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾⁽³³⁾ يؤيد هذا.

فإن قيل إن هذا الحاصل من القراءتين غير منسجم مع سياق الآية ولحاقها لأن الآية ذكرت خروج يأجوج ومأجوج ثم قال -I- في الآية بعدها ﴿وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾⁽³⁴⁾، فيحتمل أن يكون معنى الآية على القراءة الشاذة من باب المقدم والمؤخر، ويكون تقدير الآية: حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق وهم (أي: البشر) من كل جدث يسرعون شاخصة أبصار الذين كفروا.⁽³⁵⁾ ولا مانع من قبول هذا القول وإرجاع الضمير إلى العالم لدلالة القراءة الشاذة عليه وعدم إنكار المفسرين عنه، قال الإمام أبو حيان الأندلسي: والظاهر (على قراءة الجمهور) أن ضمير (وَهُمْ) عائد على يأجوج ومأجوج، أي: يطلعون من كل ثنية ومرتفع ويعمون الأرض. وقيل: الضمير للعالم، ويدل عليه قراءة عبد الله وابن عباس -رضي الله عنهما- (من كل جدث) بالثاء المثلثة وهو: القبر.⁽³⁶⁾

ج. دور القراءة الشاذة في بيان خصوصيات الدابة المخرجة قرب القيامة

قال الله تعالى ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ (النمل: 82)

هكذا قرأه الجمهور.

وقرئ في الشواذ بعدة قراءات، منها:

الأولى: (تَكَلِّمُهُمْ) بفتح التاء والكاف وتخفيف اللام، وهي قراءة ابن عباس -ع-، وسعيد بن جبير، ومجاهد⁽³⁷⁾، والجدري، وأبي زرعة،⁽³⁸⁾ وابن أبي عبله -رحمهم الله-.⁽³⁹⁾

الثانية: (تَكَلِّمُهُمْ بِأَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ) بإضافة الباء، وهي قراءة ابن مسعود -ع-.⁽⁴⁰⁾

الثالثة: (تُنَبِّئُهُمْ)، وهي قراءة أبي بن كعب -ع-.⁽⁴¹⁾

الرابعة: (تُحَدِّثُهُمْ)، وهي قراءة يحيى بن سلام -رحمه الله-.⁽⁴²⁾

يختلف تفسير الآية حسب اختلاف القراءات الواردة فيها، فعلى ضوء القراءة المتواترة (تَكَلِّمُهُمْ) هو من الكلام، أي: تخبرهم وتحديثهم، وعليه يدل قراءة أبي بن كعب -ع- (تُنَبِّئُهُمْ) وقراءة يحيى بن سلام (تُحَدِّثُهُمْ)، وكذا يفسره قراءة ابن مسعود -ع- (تَكَلِّمُهُمْ بِأَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ).

وعلى ضوء القراءة الشاذة (تَكَلِّمُهُمْ) فهو من الكلم وهو الجرح، والمراد به: الوسم بالعصا والخاتم.⁽⁴³⁾

بيان أثر القراءات الشاذة:

دور القراءة الشاذة في توضيح معنى الآية:

خروج الدابة المذكورة من الأرض في آخر الزمان من علامات الساعة الكبرى، فهي تكلم الناس وتسميهم، وذلك عند فساد الناس وتركهم أوامر الله تعالى، وقد دل الكتاب والسنة على خروجها، فما جاء في الكتاب عنه قوله -ع- I- ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾، وكذلك ما جاء في السنة عنه ما ورد في حديث أنه -ﷺ- قال: «إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا، طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا، فَأَلْخَرَى عَلَى إِثَرِهَا قَرِينًا»⁽⁴⁴⁾ وكذا ورد عنه -ﷺ- أنه قال: «تَخْرُجُ الدَّابَّةُ فَتَسِمُ النَّاسَ عَلَى خَرَاطِيمِهِمْ، ثُمَّ يَعْمُرُونَ فِيكُمْ حَتَّى يَشْتَرِيَ الرَّجُلُ الْبَعِيرَ فَيَقُولُ: مِمَّنْ اشْتَرَيْتَهُ؟ فَيَقُولُ: اشْتَرَيْتُهُ مِنْ أَحَدِ الْمُخْطَمِينَ».⁽⁴⁵⁾

واختلف في كلامه وتوجيهه للناس، فالقراءات الشاذة كلها تفيد في توسيع معنى الآية وتفسيرها إما ببيان المراد عن قراءة الجمهور وهو أن الدابة المخرجة من الأرض تُكَلِّمُ الناس وتحديثهم بانتفاء اليقين بآيات الله -ع- I-، وإما بإضافة معنى آخر لا يخالف النص وهو أنها ستجرح الناس بسبب عدم إيمانهم وبقينهم بآلاء الله -ع- I- وآياته.

قيل إن أبا الحوراء سأل ابن عباس: تُكَلِّمُ أَوْ تَكَلِّمُ؟ فقال: كل ذلك تفعل، تُكَلِّمُ المؤمن وتُكَلِّمُ الكافر، وروي: أنها تسم الكافر في جبهته وتربده، وتمسح على وجه المؤمن فتبيضه.⁽⁴⁶⁾

وقد رجح الإمام ابن كثير الجمع بين دلالة القراءتين فقال: قال ابن عباس، والحسن، وقتادة: تُكَلِّمُهُمْ، أي: تخاطبهم مخاطبة. ورجح ابن جرير: تخاطبهم فتقول لهم: أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون وحكاه عن علي، وعطاء، وفي هذا نظر.

وعن ابن عباس: تُكَلِّمُهُمْ: تُجَرِّحُهُمْ. يعني: تكتب على جبين الكافر: "كافر" وعلى جبين المؤمن "مؤمن"، وعنه: تُخَاطِبُهُمْ وَتُجَرِّحُهُمْ. وهذا القول ينتظم المذهبين، وهو قوى حسن جامع لهما.⁽⁴⁷⁾

المطلب الثاني: أثر القراءة الشاذة في السمعيات المتعلقة بالملائكة

أثر القراءة الشاذة في تخصيص المراد من "الملائكة" في الآية:

قوله تعالى ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آل عمران: 39).

اختلف القراء في قراءة قوله تعالى: (فنادته الملائكة) ففيه قراءتان متواترتان:

إحدهما: (فناداه الملائكة) بألف مماله بعد الدال على أصولهم، وهي قراءة حمزة والكسائي وكذا خلف، ووافقهم الأعمش -رحمهم الله-.

والأخرى: قرأه الباقر بن تاء التانيث ساكنة بعدها (فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ).⁽⁴⁸⁾

وقرئ في الشواذ عن عبد الله بن مسعود -ت- (فناداه جبريل).⁽⁴⁹⁾

ولا يوجد التعارض بين القراءتين المتواترتين والفعل مسند لجمع مكسر فيجوز فيه التذكير باعتبار الجمع والتانيث باعتبار الجماعة.⁽⁵⁰⁾

بيان أثر القراءة الشاذة

يعد جبريل -U- من الملائكة المقربين، وهو الذي نزل بالرسالات على الرسل والأنبياء -عليهم السلام، ومن وظائفه حمل رسالات الله تعالى وشرائعه من السماوات العلى إلى الأرض، فقد ميّزه الله تعالى عن باقي الملائكة باختصاصه بحمل الوحي⁽⁵¹⁾، وتنزيل الشرائع والأحكام من السماء إلى الأرض.

وعلى هذا فالمراد من (الملائكة) في الآية هو (جبريل -U-)، وقراءة ابن مسعود -ت- بينت أن الإطلاق في اللفظ العام (الملائكة) على القراءة المتواترة إنما من باب إطلاق العام وإرادة الخاص؛ قال الإمام أبو حيان الأندلسي: "الظاهر أن مناديه جماعة من الملائكة لصيغة اللفظ، وقد بعث تعالى ملائكة

إلى قوم لوط وإلى إبراهيم وفي غير ما قصه، وذكر الجمهور أن المنادي هو جبريل وحده، ويؤيده قراءة عبد الله ومصحفه: فناداه جبريل وهو قائم". (52)

وبه قال الإمام الزمخشري أيضا: "وقيل: ناداه جبريل -V-، وإنما قيل الملائكة على قولهم: فلان يركب الخيل". (53) ثم فسّر الإمام أبو حيان قول الزمخشري فقال: "يعني: إن الذي ناداه هو من جنس الملائكة، لا يريد خصوصية الجمع، كما أن قولهم: "فلان يركب الخيل" لا يريد خصوصية الجمع، إنما يريد مركوبه من هذا الجنس. وخرج عليه ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ (54)، وهو نعيم بن مسعود، وقال الفضل: الرئيس يخبر عنه أخبار الجمع لاجتماع أصحابه معه، أو لاجتماع الصفات الجميلة فيه، المتفرقة في غيره. فعبر عنه بالكثرة لذلك. قيل: وجبريل رئيس الملائكة". (55)

المصادر والمراجع

- (1) لسان العرب لابن منظور، 300-295/3، دار صادر، بيروت، 1414 هـ.
- (2) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، لخليل أحمد الملكاوي (ص: 16)، مكتبة دار الزمان، المدينة المنورة، 1405 هـ.
- (3) مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة لناصر عبد الكريم (ص: 3)، دار الوطن للنشر، 1412 هـ.
- (4) المعجم الوسيط لمصطفى، إبراهيم، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر (614/2)، دار الدعوة.
- (5) حاشية الإمام البيهقي على جوهرة التوحيد لإبراهيم البيهقي (ص: 104)، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 1422 هـ.
- (6) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضئية في عقد الفرقة المرضية لأبي العون شمس الدين محمد بن أحمد بن سالم السفاريني (3/2)، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، 1402 هـ.
- (7) ورد عن الحسن نفس القراءة في هذه الكلمة حيث جاءت، انظر: إتحاف فضلاء البشر للبناء (ص: 266).
- (8) مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه (ص: 45).
- (9) المحتسب لابن جني (59/2)، وشواذ القراءات للكرماني (ص: 170)،
- (10) روح المعاني للألوسي (180/4).
- (11) الدر المصون للسمين الحلبي (693/4)
- (12) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (620/4) (2430)، باب: ما جاء في شأن الصور.
- (13) معاني القرآن لأبي جعفر النحاس؛ بتحقيق محمد علي الصابوني (486/4)، الطبعة الأولى، 1409 هـ، جامعة أم القرى - مكة المكرمة.
- (14) المرجع السابق (503/5).
- (15) المرجع السابق (192/1).
- (16) فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (289/8)، 1379 هـ، دار المعرفة - بيروت.
- (17) المرجع السابق (367/11).
- (18) الكهف: 99.
- (19) يس: 51.
- (20) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (2258/4) (2490)، باب: خروج الدجال ومكثه في الأرض، ونزول عيسى وقتله إياه، وذهاب أهل الخير والإيمان، وبقاء شرار الناس وعبادتهم الأوثان، والنفخ في الصور، وبعث من في القبور.
- (21) الحجر: 29.
- (22) فتح الباري لابن حجر العسقلاني (367/11).
- (23) أثر اختلاف القراءات الأربعة عشر في مباحث العقيدة والفقه لوليد بن إدريس بن عبد العزيز المنيسي (ص: 201-202)، الطبعة الأولى، 2015م، مكتبة دار الحجاز.
- (24) الزمر: ٦٨.

- (25) رواه ابن أبي عاصم في السنة، بتحقيق ناصر الدين الألباني (432/2) (891)، باب الإيمان بالبعث.
- (26) الواقعة: ٨٣
- (27) المحتسب لابن جني (66/2)، والمحرر الوجيز لابن عطية (100/4)، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (467/7).
- (28) مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه (ص: 95)، والكشاف للزمخشري (135/3)، ومفاتيح الغيب للرازي (186/22)، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (467/7)، وروح المعاني للألوسي (87/9).
- (29) مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه (ص: 95).
- (30) معاني القرآن للفراء (211/2)، وتاج العروس للزبيدي (244/2).
- (31) (جَذَتْ) الْجَيْمُ وَالْدَّالُّ وَالْقَاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ: الْجَذْتُ الْقَبْرُ، وَجَمَعُهُ أَجْدَاتٌ. انظر: مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بتحقيق عبد السلام محمد هارون (436/1)، 1399هـ - 1979م، دار الفكر.
- (32) المحرر الوجيز لابن عطية (100/4)، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (467/7).
- (33) يس: 51.
- (34) الأنبياء: 97.
- (35) القراءات وأثرها في التفسير والأحكام لمحمد بازموّل (ص: 514)
- (36) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (467/7)، ربما قد أخذ هذا القول عن الإمام ابن عطية لأنه ذكر نفس القول عند تفسيره لهذه الآية، فقد قال: قالت فرقة المراد بقوله (وَهُمْ) أي: يأجوج ومأجوج، لأنهم يطلعون من كل ثنية ومرتفع ويعمون الأرض، وقالت فرقة: المراد بقوله (وَهُمْ) أي: جميع العالم، وإنما هو تعريف بالبعث من القبور، وقرأ ابن مسعود (من كل جدث) وهذه القراءة تؤيد هذا التأويل. انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (100/4).
- (37) مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه (ص: 112)، والمحتسب لابن جني (144/2)، وشواذ القراءات للكرماني (ص: 363).
- (38) المحتسب لابن جني (144/2).
- (39) شواذ القراءات للكرماني (ص: 363)، وروح المعاني للألوسي (235/10).
- (40) مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه (ص: 112)، والمحتسب لابن جني (145/2)، وشواذ القراءات للكرماني (ص: 363).
- (41) المراجع السابقة، وروح المعاني للألوسي (235/10).
- (42) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (269/8)، وروح المعاني للألوسي (235/10).
- (43) المحتسب لابن جني (145/2)، والكشاف للزمخشري (385/3)، ومفاتيح الغيب للرازي (572/24).
- (44) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (2260/4) (2941). باب: خروج الدجال ومكته في الأرض، ونزول عيسى وقتله إياه، وذهاب أهل الخير والإيمان، وبقاء شرار الناس وعبادتهم الأوثان، والنفخ في الصور، وبعث من في القبور.
- (45) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (646/36) (22308). باب: حديث أبي أمامة الباهلي الصدي بن عجلان بن عمرو، ويقال: ابن وهب الباهلي، عن النبي - ﷺ -.
- (46) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (269/8).

- (47) البداية والنهاية لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير؛ بتحقيق عبد المحسن التركي (247/19)، الطبعة الأولى، 1418هـ - 1997م، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.
- (48) إتحاف فضلاء البشر للبناء (ص: 222).
- (49) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (464/2)، والمحرر الوجيز لابن عطية (426/1).
- (50) إتحاف فضلاء البشر للبناء (ص: 222).
- (51) إنه قد يأتي بالوحي غير جبريل - وهذا قليل - كما في حديث رواه ابن عباس -ت- بقوله: بينما جبريل قاعد عند النبي -ﷺ- سمع نقيضاً من فوقه، فرفع رأسه، فقال: «هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبَشِّرْ بَنُورَيْنِ أَوْتِيَهُمَا لَمْ يُؤْتِيَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيَتْهُ»، وجاء عن حذيفة -ت- في رواية أن النبي -ﷺ- قال: «أَمَا رَأَيْتَ الْعَارِضَ الَّذِي عَرَضَ لِي فُبَيْلِي؟»، قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: " فَهُوَ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَمْ يَهْبِطِ الْأَرْضَ قَطُّ قَبْلَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، اسْتَأْذَنَ رَبُّهُ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيَّ، وَيُبَشِّرَنِي أَنَّ الْحَسَنَ، وَالْحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَنَّ فَاطِمَةَ سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ». انظر: عالم الملائكة الأبرار لعمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي (40/1)، الطبعة الثالثة، 1403هـ - 1983م، مكتبة الفلاح، الكويت.
- (52) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (128/3).
- (53) الكشاف للزمخشري (359/1).
- (54) آل عمران: 173.
- (55) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (128/3).